تداخل الصورة الشعرية وفنيتها في قصيدة المواكب لجبران خليل جبران

حازم محمد نجم
المديرية العامة لتربية ذي قار
hazeemnajem@yahoo.com

المستخلص:

جبران خليل جبران أحد أعمدة شعراء المهجر وأول مؤسس للرابطة القلمية في نيويورك ، أهتم كثيراً بالصورة في قصائده ، حيث أنها جزء أساسي في الشعر ، وانبثقت مع انبثاق الشعر ، فأصبحت محاكات أمينة للواقع والطبيعة ، وكان للطبيعة دور كبير في دعم الصورة فأخذ يستمد الصور من الطبيعة الخلابة بما فيها من أشجار وسواقي وحيوانات ، وكما أنَّ للخيال دوراً أكبراً في دعم صورة القصيدة عنده ، فهو المحرك الأساس عند كل فنان، واستخدم الشاعر أسلوب التجسيد في عدة أبيات ، حيث استطاع أن يعطي المعنويات صفة الماديات.

الكلمات المفتاحية: (جبران خليل جبران ، الصورة ، أسلوب التجسيد، الخيال، الطبيعة).

Intertwining and artistic poetry in the procession poem by Gibran Khalil Gibran

Hazem Mohammed Najm
General Directorate of Dhi Qar Education

Abstract:

Gibran Khalil Gibran is one of the pillars of the Diaspora poets and the first founder of the Penal Association in New York. The picturesque, including trees, rivers and animals, and just as the imagination has a greater role in supporting the image of the poem in it, it is the primary driver for each artist, and the poet used the embodiment in several verses, where he was able to give morale the character of the material

Key words: (Gibran Khalil Gibran, photo, embodiment, imagination, nature).

التمهيد:

أولاً \ حياة جبران خليل جبران

ولد جبران في بلدة بشري المتكئة على كتف وادي قاديشا ، في ظلال الأرز؛ إذ تتفجر الأرض ماءً وخضرةً وزهراً ، والثلوج تعمم الجبال معظم فصول السنة ، كانت ولادته صباح السادس من كانون الثاني سنة ١٨٨٣م ، في كنف عائلة قليلة الموارد مؤلفة من الأب خليل ، والأم كاملة رحمه التي كان لها ولد من زواج ثاني أسمه بطرس ، ورزقت من زوجها خليل ثلاثة أولاد .

في الخامسة من عمره تلقى مبادئ العربية والفرنسية والسريانية في مدرسة اليشاع ، أصيب والده بنكسة وراح ضحية تهمة أودت به إلى السجن ، فلملمت أمه (كاملة) رحمة نفسها وسافرت مع أولادها الأربعة : بطرس وجبران ومريان وسلطانة إلى أمريكا ، سنة ١٨٩٤ في بوسطن ، واستقرت العائلة هناك في حي أسمه الحي الصيني ، حيث دخل جبران في مدرسة شعبية تعلم فيها أصول اللغة الإنكليزية، وبعد ثلاث سنوات استطاعت عائلته أن تجع مقدار من المال ليرسلوا جبران إلى بيروت ليدرس العربية والفرنسية؛ لأنهم توسموا فيه الرجل النابغة الذي سيكون له مستقبل باهر ، وفي بيروت التحق بمدرسة الحكمة وبقى ثلاثة سنوات استطاع أن يوسع معرفته باللغة العربية ، بعدها عاد إلى أمريكا عام ١٨٩٩، وبدأ مزاولة الرسم والكتابة لكن الفواجع توالت عليه عندما ماتت أخته بمرض السل، ثم لحق بها أخوه بطرس ثم أمه، فاستولى عليه الحزن إلاَّ أنَّ الفواجع لم تهد من عزيمته، فأقام معرضا لرسومه فأعجبت بها الناس وأشتهر شهرة واسعة ، وفي نفس الوقت يكتب خواطر ومقالات، فكان أول مقال كتبه عنوانه (رؤيا)، الذي أصبح صداه واسعاً وعميقاً وبليغاً لدى القرّاء من حيث طرافة النهج والإبداع في الخيال، فجمع مقالاته وقصصه في ثلاثة كتب نشرها على التوالي وهي الموسيقى، وعرائس المروج، والأرواح المتمردة، فبعد هذه الشهرة انتقل جبران من بوسطن إلى نيويورك عام ١٩١١ فأسس الرابطة القلمية سنة ١٩٢٠؛ إذ توطدت علاقة جبران بكثير من الأدباء اللبنانيين والسوريين غير أنَّ اهتمامه بالرابطة لم يصرفه عن التأليف فأصدر رائعته (النبي) في اللغة الانكليزية، وبعد هذه الرحلة الشاقة استولى عليه المرض فلفظ أنفاسه الأخيرة سنة ١٩٣١م (١).

ثانياً\ الصورة الشعرية قديما وحديثا:

تعد الصورة الشعرية عملية تأثر وتأثير وتفاعل بين الشاعر والمجتمع، وخلق خيال مشترك بينهما، وهذا الخيال ينبع من منابع عدة، بشرية وغير بشرية؛ إذ يستمد الشاعر منها الخيال ليشكل صورة مؤثرة في نفس المتلقي " وهي خلاصة تجربة ذهنية يخلقها إحساس الشاعر لتلك التجربة وقدرة خياله على تحويلها من كونها ذهنية غير مجردة إلى رسمها صورة بارزة للعيان يتذوقها متلقوها"(٢) . إذن الصورة هي نتاج محاكات مع الأشياء الأخرى أو انفعالات سواء كانت محضر حزن أو فرح ،

ويضفي عليها الشاعر النكهة الشعرية أو الكلمات الشاعرية لتصبح عندنا شعر؛ لأن الشعر بدون هذه الأدوات لا يسمى شعرا. فالصورة هي جزء أساسي في القصيدة لأنها" محاكاة أمينة للواقع الخارجي أو الطبيعة وواقع الحياة ، بقدر ما هي أيضا الومضة التلقائية التي تعرض نفسها على المبدع في لحظة من الزمن عن حالة نفسية شعورية"(٣)

الصورة الشعرية قديما:

انبثقت الصورة الشعرية مع انبثاق الشعر لأنها ركن أساسي منه، بدأ الشعر أو الأدب بصورة عامة في كل العالم بداية دينية، من خلال العبادات والطقوس التعبدية له " فما الأساطير إلا آداب الأمم البدائية مختلفة بتاريخها القومي ، ومعتقدها الديني وممارستها في مواجهة حياة خشنة وطبيعة عاتية، وفي محاولة للتحكم في ظواهرها بالسحر والصلاة في ذات الوقت، ومن هذه الأساطير تنبثق الملاحم، التي يبرز فيها بوضوح جانبا الأدب والتاريخ وإن كان الجانب الأسطوري يزاحم فيها أيضا جانبي الأدب والتاريخ ولا يختفي أمامهما"(٤)

فكان لهذه الأساطير دور واضح لتكوين صور لدى شعراء وأدباء العالم "؛ إذ احتمال تأثير الجوانب الدينية والأسطورية على خيال الشعراء في تكوين صورهم قائم وقوي؛ لأنَّ هذه الجوانب تظل مسيطرة على الذهن البشري حتى الموت المبكر في حياة الشعوب بزمن طويل"(٥)، فشعراء العصر الجاهلي أخذ منها الكثير لتكون مادة دسمة لقصائدهم التي ملأت الصحراء العربية . فالشعراء عندهم قدرة خارقة وعجيبة على اختراق حجب المواقع، فلا يتحقق لهذا الاختراق بالعقل بل بقوة الخيال، وبفضل الخيال يستطيع الشاعر خلق الإثارة والدهشة لدى المتلقي " وقد قسم كولدرج الخيال إلى نوعين ، أولي ، وثانوي .

الخيال الأولي : القوة العلمية أو الحيوية التي تجعل الإنسان قادر على الإدراك ، فهو تكرار أو إعادة في العقل المتناهي لعملية الخلق والإبداع في الأنا المطلق

و الخيال الثانوي : فهو خلق جديد بعد تحطيم وتلاشي للواقع وتحويله لمثالي"(٦)

فالصورة الشعرية ما هي إلا محصلة الشعراء التي اكتنزوها من ثقافات عديدة، دينيه ونفسيه وغيرها من الثقافات الأخرى، ثم يعيرها بشكل خاص بالشاعر في النص الشعري

وأول من أشار إلى الصورة قديماً هو الجاحظ عندما قال المعاني مطروحة في الطريق يعرفها كل من الأعجمي والغربي والبدوي والقروي والمدني إنما الشأن في قدرة الشاعر على إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وصحة الطبع وجودة السبك، فالشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير (٧)، نلاحظ في قوله تأكيد على الصورة والتصوير في الشعر حيث تعطي

الصورة قيمة جمالية للنص ، وبذلك يمكن اعتبار الصورة عند الجاحظ بداية للتحديد الدلالي لمصطلح الصورة الشعرية ، بالرغم من أنه كان مركزاً على ثنائية اللفظ والمعنى التي أنشغل بها النقاد في ذلك الزمن وحتى العصر الحديث ، أما عبد القاهر الجرجاني فقد أفاض في حديثه عن الصورة وخاصة في كتابه دلائل الأعجاز حيث قال " من الفضيلة الجامعة فيها إنها تبرز هذا البيان في صورة مستجدة تزيد قدرةً نبلاً، وتوجب له بعد الفضل فضلاً " (٨) ، يتبين من قول الجرجاني في النص ما للصورة من فضل على النصوص والأحاديث ، فالتراث العربي اهتم اهتماما كبيراً في الصورة أو ما يشبهها من المسميات التي تعطي نفس المدلول .

ومن الصور التي أستخدمها شعراء العصر الجاهلي قول امرئ القيس :

(وليلٍ كموج البحر أرخى سدوله عليَ بأنواع الهموم ليبتلي)(٩) .

في هذا البيت رسم الشاعر لوحة فنية رائعة بعد أن استعار من البحر، ليبين فيه كثرة الهموم التي تأتيه في الليل، فلاشك أنَّ الصورة مرتبطة بالدوافع النفسية والخصائص الذوقية لدى الشاعر، فالشاعر كالرسام؛ إذ كلاهما يرسم صورة أو لوحة، لكن بأدوات مختلفة، الشاعر أدواته الألفاظ والمعاني، أما الرسام فأدواته الألوان والأقلام ، ومعلوم أنَّ طريقة الكلام كطريقة التصوير والصياغة وأنَّ صياغة المعنى الذي يعبر عن سبيل الشيء الذي يقع عليه التصوير، والصوغ فيه كالفضة والذهب يصاغ منها خاتم أو سوار أو أي شكل أخر، فإذا أردت النظر لصوغ الختم هو جودة العمل ورداءته أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة ، أو الذهب الذي وقع فيه ذلك العمل وتلك الصنعة ، كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد وجود معناه (١٠) ، إذن الصورة نظم وصياغة ، وشكل ومضمون ، كل ذلك يشكل لنا الصورة .

الصورة حديثا:

للصورة الشعرية مساحة واسعة في النقد العربي والغربي؛ لأنها العمود الفقري للقصيدة، ويرى عز الدين إسماعيل أحد النقاد المعاصرين أنَّ " الصورة الفنية تركيبة وجدانية تنتمي في جوهرها إلى عالم الوجدان أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع " (١١) ، يعني هي تركيبة تتكون في داخل الشاعر أثر واقعة شعورية في الواقع فيترتب على اثر ذلك بناء صورة شعورية تشد المتلقي، والواضح أنَّ الصورة تتكون من أربع عناصر هي :

عنصر ظاهري، وعنصر باطني نفسي، وعنصر الدافع، وعنصر القيمة ،أما العنصر الظاهري، فيتأتى من العالم المحسوس بواسطة الصورة الحركية والصور الحسية الخمس المعرفة التي هي الصورة البصرية والسمعية والذوقية والشمية واللمسية ، هذه الحواس تنقل المعاني المجردة إلى الخيال الإنساني

(١٢) ،ومن خلال هذا الخيال يستطيع الشاعر خلق صور متعددة قادرة على إيصال الأفكار للمتلقي ، فلغة الشعر لغة شعورية محكومة بالعواطف الإنسانية ، كالحزن والفرح ، والحب والكره.

وعرف الصورة ناقد حديث آخر بقوله: هي تشكيل لغوي يكونها خيال المبدع من معطيات متعددة ، كما يقف العالم المحسوس في مقدمتها،، فأغلب الصور مستمدة من حواس الإنسان ، إلى جانب ما لا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية ، وإن كانت لا تأتي بكثرة الصور الحسية (١٣) ، إذن الصورة هي لغة الحواس ، وقادرة على استثمار اللغة ، حيث تركب الكلمات وتكوّن العبارات لتنتج لنا صورة عن طريق التعبير المجازي والحقيقي .

أما بالنسبة لوظيفة الصورة الشعرية هي إمتاع المتلقي وترغيبه بأمر معين أو تنفيره ويكون ذلك في مبالغة الصورة للمعنى ، فهي قادرة على تحسين الشيء أو تقيمه ، فيقال إن المجاز ثلاثة أشياء : المبالغة والبيان والإيجاز (١٤) ، وهذا ما تحمله الصورة في تكويناتها

وللصورة وظيفة أخرى وهي الوظيفة الجمالية ، حيث تحقق المتعة الجمالية من خلال القيم الإيجابية التي تحاكي أشياء واقعية حية، وبذلك تكون نتاج للذهن الإنساني المبدع ، القادر على إيصال الأفكار إلى جمهوره ، حتى وإن كان يتكلم بلغة أعلى من لغة الجمهور " فالفنان وحده بل جمهور المستمعين أيضاً يفهم ماذا يجري ، وإلا فإن هوة واسعة ستحدث بين الفنان الذي ينجز أعماله ، فوق أعالي بعيدة والجمهور الذي لم يعد قادراً على الصعود إلى تلك الأعالي فيدفع به القنوط إلى الهبوط إلى مستويات أدنى ، عندها لن يغدو بإمكان الفنان أن يساعد جمهوره على الصعود مجدداً ، لأن هذا الأخير يكون قد أنحدر بسرعة فائقة ، بل إنه يهوي إلى مستوى أكثر عمقاً وخطرا بقدر ما يكون عبقري قد رفعه قبلها عالياً " (١٥).

المبحث الأول/ أسلوب التجسيد في قصيدة المواكب

التجسيد هو إعطاء المعنويات صفة الماديات وهو شبيه بالاستعارة والمجاز ، أو كما عرفه الرباعي " هو تقديم المعنى في جسد شيء ، أو نقل من نطاق المفاهيم إلى المادية الحسية " (١٦) ، وهذا التجسيد يضفي على الأشياء شيئاً من الشاعرية ، وللاه لأصبح النص مجرد من الأحاسيس كما قال اليوسفي " والحال أن مطابقة الصورة للواقع أمر يحيط طاقتها الفنية ، ويحد من اندفاعاتها الدلالية ، إذ يصبح الغرض منها كأنه مجرد الإخبار عما هو موجود في الواقع العيني ملتصقاً بأصله ، الواقع ينتزع نقلاً حرفياً مسطحاً " (١٧) .

والتجسيد هو مرادف للاستعارة ، وتعني الاستعارة : نقل النص أو العبارة من أصل اللغة إلى غرض آخر، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه أو التأكيد والمبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ أو تحسين العرض الذي يبرر فيه (١٨) ، وقال الخطيب الرازي " إنها ذكر

الشيء باسم غيره وإثبات ما لغيره له لأجل المبالغة في التشبيه ، ولك أيضاً أن تقول الاستعارة عبارة عن جعل الشيء بالشيء أو جعل الشيء للشيء لأجل المبالغة في التشبيه " (١٩) ، وهذا ما جاء في قصيدة المواكب ، عندما قال جبران :

(الخير في الناس مصنوع إذا جبروا والشر في الناس لا يفنى وإن قبروا)
(وأكثر الناس آلآت تحركها أصابع الدهر يوماً ثم ينكسر)
(فلا تقولن هذا عالم علمٌ ولا تقولن ذاك السيد الوقر)
(فأفضل الناس قطعانٌ يسير بها صوت الرعاة ومن لم يمشِ يندثر)٢٠)

نلاحظ في النص أعلاه استعارة أو تجسيد واضح في كلام الشاعر ، حيث جعل للدهر أصابع كأصابع الإنسان (أصابع الدهر يوما ثم ينكسر) ، إذن هي استعارة تدل على التجسيد المتحقق من استعارة الأصابع البشرية للدهر الزمني ، وهنا نلاحظ خرق لنظام اللغة وهو المراد تحقيقه من قبل الشاعر؛ لأن" المجازات المتعددة في التعبير هي التي تقوم بخرق نظام اللغة محدثة بذلك تشويشاً في المعنى المعياري " (٢١) ، فالمعاني التي في النصوص ماهي إلا الصورة الحاصلة في الذهن عن الأشياء الموجودة في الأعيان أو الوجود الملموس، فكل شيء موجود خارج الذهن ، فإنَّه إذا أدرك حصلت له صورة أو رسمت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه ، فإذا عبّر عن تلك الصورة الذهنية التي حصلت في الإدراك أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة الذهنية في إفهام السامعين وأذهانهم ، فصار للمعنى وجود ووجه آخر من جهة دلالة ومعاني الألفاظ (٢٢) ، فكل من الصور والمعاني لها ارتباط وثيق بالخيال ، تلك الملكة التي تمكن الشعراء من خلالها توليد صور ومعاني لا حصر لها ، كما مكنت العلماء أيضاً من اخرج معارف جديدة إلى الضوء ، بل أن خيال العلماء هو الذي مكننا السفر إلى الفضاء الخارجي ، ومن المشي على القمر (٢٣) .

وقال جبران أبياتاً في نفس القصيد

(ليس في الغابات راع لا ولا فيها القطيع)
(فالشتا يمشي ولكن لا يجاريه الربيع)
(خلق الناس عبيداً للذي يأبى الخضوع)
(فإذا ما هب يوماً سائراً سار الجميع) (٢٤)

الشاعر هنا للطبيعة امتداد لذاته الرومانسية ، ولا ينظر إنسان مادي، ولذلك يؤكد جبران على ذكر الغابات ويؤكد بأنها الملاذ الآمن للإنسان من أخطار المدينة ، وقد جسد الشاعر في الأبيات أعلاه الحرية والكرامة ، ولا يمكن أن يكون الإنسان عبداً إلا إذا هو خنع وخضع ، وبهذا انطوت تركيبة الأبيات على عدة معاني أدى بها الشاعر إيصال فكرة الحرية ، بذلك أصبح شعره " وسيلة إيحائية من أبرز وسائل التصوير الشعرية ، التي ابتدعها الشاعر المعاصر عبر سعيه الدائب وراء اكتشافه وسائل

تعبير لغوية يثري بها لغته الشعرية ، ويجعلها قادرة على الإيحاء بما يستقصي على التجديد والوصف من مشاعر وأحاسيس رؤيته الشعرية المختلفة " (٢٥) ، وأبدع الشاعر عندما قال :

(ليس في الغابات حزنُ لا ولا فيها الهموم)

(ليس حزن النفس إلا ظل وهم لا يدوم) (٢٦)

" جبران لم يعن باختيار الألفاظ الفخمة؛ لأنه أهمل المعجم وكان يهمه في اللفظ دقة التعبير مع مراعاته لمقتضى الحال مع أنه لم يخش الاقتباس من اللغة العامية " (٢٧).

فهي لغة بسيطة واضحة لكنه جسد فيها كل معاني الحياة، ورمز فيها إلى غايته المرادة ، فاللغة عند جبران وسيلة للتعبير عن مشاعره مهما كان نوعها؛ إذ يقول جبران " إن اللهجات العامية تتحور وتتهذب وبذلك الخشن فيها فيلين ، ولكنها لم ولن تغلب، ويجب أن لا تغلب؛ لأنها مصدر ما ندعوه فصيحاً من الكلام ، ومنبت ما نعده بليغاً من البيان "(٢٨)،

المبحث الثاني \ دعائم الصورة في قصيدة المواكب

أولاً : الخيال أهم عنصر من عناصر الصورة هو الخيال؛ لأن الخيال هو بداية كل جديد ، كل شيء يبدأ بالخيال ثم يتم على الواقع ، فالصورة أساسها خيال المبدع الذي يقوم بالتقاط العلاقات المرهفة والخفية بين الأشياء الملموسة، ولكي يصوغها في تركيب لغوي جميل فلا سبيل إلا إن يبتعد عن المباشرة والتقرير الواضح، ويتجه نحو المجاز (٢٩)، فشاعرنا جبران خليل جبران ، صاحب خيال واسع وخلاق ، ولذلك استطاع أن يرفد الأدب العربي بكم هائل من المؤلفات الأدبية المليئة بالتجارب الشعورية التي مر بها ، فالخيال هو المحرك الأساسي لكل فنان، والقادر على خلق صور جديدة وربطها بصور قديمة ، وهذا ما استخدمه أغلب الشعراء؛ إذ استطاعوا أن يخلقوا صوراً قديمةً من شعر قديم " والخيال الشعري نشاط خلّاق لا يستهدف أن يكون ما يشكله من صور نسخاً أو نقلاً لعالم الواقع ومعطياته بقدر ما يستهدف أن يدفع المتلقي إلى إعادة التأمل في واقعة من خلال رؤية شعرية "(٣٠) ،

وقال جبران خليل جبران:

(وما الحياة سوى حلم تراوده أحلام من بمراد النفس يأتمر)

(والسر في النفس حزن النفس يستره فإن تولى فبالأفراح يستتر)

(والسر في العيش رغد العيش يحجبه فأن أزيل تولى حجبه الكدر)

(فإن ترفعت عن رغدٍ وعن كدر جاورت ظلّ الذي حارت به الفكر)(٣١)

تجد في المقطوعة أعلاه خيال الشاعر عَكَسَ أفق رؤيته الشعرية، ومدى قدرته في توليد الصور " فعند الحداثة الصورة جوهر الشعرية، ومصدر الخيال الشعري، بحيث احتلت العناصر المرئية بؤرة حافزة في تكوين المتخيل الشعري ... وفرضت نتاجها على تقنيان التعبير الفني في الشعر؛ لذلك استطاعت الحداثة بهذا التطور أن تخطوا بالشعرية العربية خطوةً واسعةً لم تكن مألوفة؛ إذ أثرت مصادر الخيال الدلالي، ووفرت له مواد خصبة لا تعرف النفاذ ، وأعانته على الانفتاح على العالم الداخلي للنفس الإنسانية، ومكنته من رصد دقائق المشاعر، وتقصي حركتها العميقة وهمساتها الخفية " (٣٢) ، وبهذا الخيال الخصب استطاع الشاعر أن يصف لنا الحياة؛ إذ شبهها بالحلم الذي يستغرق لحظات وينتهي، ثم يجد الإنسان نفسه بعد اليقظة في واقع مغاير على ما كان عليه، وعرج الشاعر على النفس وما الذي يفرحها ويحزنها ، فتخيّل كوامن النفس الإنسانية " والتخييل لدى العرب نوع من أنواع القياس العقلي والصوري الذي تقبل فيه مقدمات الشاعر ، وتسلم له بنيته وإن خالفت المنطق العقلي ، والواقع الموضوعي " (٣٣) ، فشاعرنا تمكن من الغياب العقلي الواقعي والسفر برحلة شاعرية منقطعة النظير ، ليقطف لنا كلمات لها وقع في النفوس قبل الآذان ، أما الحكمة فقد رافقت كل أشعاره وما أروع قوله (السر في العيش رغد العيش يحجبه..) ، كلماته وأن كانت بسيطة لكن فيها من البعد الدلالي والرمزي ما هو أجمل وأروع .

**ثانياً : الطبيعة ** هناك علاقة وثيقة بين الشاعر والطبيعة، فشعراء العرب رغم صعوبة الحياة وتصحر الأرض لكنهم تكلموا كثيراً عن الطبيعة، فهي ملاذهم؛ إذ بوجودها يستلهم الأفكار ويرسم الصور، فيحاول من خلالها استنطاق وتجسيم ما هو موجود في الطبيعة ، وكثر التغني فيها عندما أنتقل العرب إلى الأندلس ، لأن الأندلس مدينة خضراء ، وهكذا نهج جبران خليل جبران نهج ما سبقوه من شعراء العرب ، وأخذ يستمد صور قصائده من الطبيعة الخلابة في قصيدة المواكب التي هي محل بحثنا ، نجد الشاعر يتغنى في الغابات بحيث جعلها هي المكان الآمن وفضلها على

العيش في صخب المدينة حيث قال :

(ليس في الغابات سكر من مدام أو خيال)

(فالسواقي ليس فيها غير أكسير الغمام) (٣٤)

ذكر الشاعر مفردات (الغابات – السواقي) وهي من مكونات الطبيعة ، وقال الدكتور يوسف عبيدات :إن شعر الطبيعة هو الشعر الذي يكتبه الشاعر ليمثل الطبيعة وسحرها الأخاذ والذي يزيده جمالاً خيال الشاعر ، وتتمثل فيه روحه المرهفة وحبه لها واستغراقه بمفاتن جمالها (٣٥) ، كذلك ذكر جبران بعض مفاتن الطبيعة حيث قال :

(فغصون البان تعلو في جوار السنديان)

(وإذا الطاوس أعطي حلة كالأرجوان)

(فهو لا يدري أحسن فيه أم فيه افتتان) (٣٦)

استطاع جبران أن يوظف الطبيعة لإيصال أفكاره وذكر شجرة البان والسنديان ، ورمز من خلالهما للقوة والضعف في الحياة الدنيا ، عندما قارن بين شجرة البان المعروفة بطولها ورشاقة قوامها ، وشجرة السنديان القصيرة القوام

، كان جبران بارعاً في التصوير حتى وصف نفسه قائلاً " أن دليل الحب أنا خمرة النفس أنا مأكل القلب أنا وردة أفتح قلبي عند فتوة النهار ، فتأخذني الصبية وتقبلني وتضعني على صدرها ، أنا ابتسامة لطيفة على شفتي غادة يراني الشاب فينسى أتعابه ، وتصبح حياته مسرح أحلام لذيذة " (٣٧) .

وهناك نوع آخر للطبيعة وهي الطبيعة المتحركة ، أي ما موجود في الغابة حيوانات (أسد –ثعلب - زرازير ..) التي ذكرها جبران في قصائده كما قال :

ففي العرينة ريح ليس يقربه

(بنو الثعالب غاب الأسد أم حضروا)

(وفي الزرازير جبن وهي طائرة)

(وفي البزاة شموخ وهي تحتض)ر(٣٨)

فأصبحت هذه الحيوانات مناظر مؤثرة في قريحة الشاعر ، وبالتالي يجب أن يكون أسلوب الشعر معبراً عن الصورة ، أي يرسم اسلوب القصيدة مواقف الشاعر وأفكاره وتجاربه و انفعالاته الحزينة والمفرحة رسماً ومعبراً دقيقا و قوياً واضحاً ، بحيث تصبح فكرة الشاعر كصور حقيقية تزخر بالعواطف والتجارب والانفعالات لا مجرد تصوير عادي لاحياة فيه (٣٩)

وقال في مقطوعة أخرى :

(ليس في الغابات عدل لا ولا فيها الجهول)

(فإذا الغزلان جُنت إذ تقل هذا الجليل)

(لا يقول النسر واهاً إن ذا شيء عجيب) (٤٠)

أشاد جبران ضمن هذا المقطع إلى الغزال ، وهو الحيوان الذي طالما تغنى الشعراء بجماله ورشاقته كصورة عاكسة لصورة المحبوبة في أغلب شعر الغزل ، فاستطاع شاعرنا أن يضبط البعد الدلالي لصورة الغزال ، وكذلك النسر الذي ذكر كرمز للصلابة والقوة ، فكان لذكره بعد دلالي أراد الشاعر إيصاله للمتلقي ، فالدلالة الشعرية " تحيل إلى معاني القول المختلفة حيث يمكن أن تقرأ أقوالاً متعددة في نفس الخطاب الشعري ، وبهذا يتخلق حول الدلالة الشعرية فضاء نفسي متعدد الأبعاد " (٤١) ، فمن دلالات النسر الأكثر شيوعاً في القصائد العربية هو الجندي الشجاع المدافع عن وطنه ويتفانى من أجله ، فالنسر والغزال من الطبيعة الحية المتحركة التي تغنى بها شاعرنا جبران خليل جبران .

الخاتمة:

١-انبثقت الصورة الشعرية مع انبثاق الشعر لأنها ركن أساسي منه، بدأ الشعر أو الأدب بصورة عامة في كل العالم بداية دينية

٢-تعد الصورة الشعرية عملية تأثر وتأثير وتفاعل بين الشاعر والمجتمع ، وخلق خيال مشترك بينهما ، وهذا الخيال ينبع من عدة منابع بشرية ومنها غير بشرية ، حيث يستمد الشاعر منها الخيال ليشكل صورة مؤثرة في نفس المتلقي

٣-والتجسيد هو إعطاء المعنويات صفة الماديات وهو شبيه بالاستعارة والمجاز ، أو كما عرفه الرباعي " هو تقديم المعنى في جسد شيء أو نقل من نطاق المفاهيم إلى المادية الحسية "

٤-عند الحداثة الصورة جوهر الشعرية ، ومصدر الخيال الشعري ، بحيث احتلت العناصر المرئية بؤرة حافزة في تكوين المتخيل الشعري ... وفرضت نتاجها على تقنيان التعبير الفني في الشعر ، ولذلك استطاعت الحداثة بهذا التطور أن تخطوا بالشعرية العربية خطوة واسعة لم تكن مألوفة ، حيث أثرت مصادر الخيال الدلالي ، ووفرت له مواد خصبة لا تعرف النفاذ ، وأعانته على الانفتاح على العالم الداخلي للنفس الإنسانية ،

٥-هناك علاقة وثيقة بين الشاعر والطبيعة ، شعراء العرب رغم صعوبة الحياة وتصحر الأرض لكنهم تكلموا كثيراً عن الطبيعة ، فهي ملاذ للشاعر ، بوجودها يستلهم الأفكار ويرسم الصور ، فيحاول من خلالها استنطاق وتجسيم ما هو موجود في الطبيعة

٦- استطاع جبران أن يوظف الطبيعة لإيصال أفكاره وذكر شجرة البان والسنديان ، ورمز من خلالهما للقوة والضعف في الحياة الدنيا ، عندما قارن بين شجرة البان المعروفة بطولها ورشاقة قوامها ، وشجرة السنديان القصيرة القوام .

الهوامش:

١-أنظر: جبران ، جبران خليل ، المجموعة الكاملة لمؤلفاته ، تقديم :سامي ج الخوري ، لبنان ، المنصورية (المتن) ، ص٥-٦-٧-٨

٢- الصورة الشعرية عند يحيى الغزال، التراث العربي ،مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق العدد ٧٥-١٩-نيسان -١٩٩٩- ذو الحجة -١٤١٩، ص٧٧.

٣-الصورة الشعرية قديما وحديثا، عبدالحميد قاوي ،٢٠٠٨

٤-الصورة في الشعر العربي ،حتى آخر القرن الثاني الهجري ، دراسة في أصولها وتطورها ،دكتور علي البطل ، دار الاندلس للطباعة والنشر ، ص٧.

٥--الصورة في الشعر العربي ، الدكتور علي البطل ،ص٧.

٦-ينظر : محمد زكي العشماوي ،دراسات في النقد العربي المعاصر ، دار النهضة العربية بيروت ، ١٩٨٦ ، ص٢٦٠ .

٧- ينظر: كتاب الحيوان ،الجاحظ ، أبو عثمان عمر بن بحر ، ، تحقيق : عبد السلام هارون ، بيروت ، دار الفكر ، ج٣ ، ١٣١-١٣٢.٨

٨-أسرار البلاغة ، الجرجاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن ،تعليق : محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ج١، ص٤٢

٩-ديوان امرئ القيس ، امرؤ القيس بن حجر بن حارث الكندي،تحقيق : عبد الرحمن المصطاوي ،الناشر: دار المعرفة بيروت ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٤، ص١٥.

١٠-ينظر: عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، تحقيق فايز الداية ومحمد رضوان الداية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣ ، ص٢٥٤-٢٥٥ .

١١-عز الدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ،بيروت ، دار العودة ، ط٢ ، ١٩٧٢ ، ص١٢٧.

١٢--عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في النقد العربي ، عمان ، دار جرير، ط١ ، ص٦٩ .

١٣- ينظر: علي البطل ، الصورة في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري ، دار الأندلس ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨١ ، ص٣.

١٤-ينظر :ابن الأثير ، ضياء الدين ، المثل السائر ، دار النهضة ، مصر ،المجلد ٤ ،ص١٣٢ .

١٥- فردريش نيتشه ، إنساني مفرط في إنسانيته ، ترجمة علي مصباح ، منشورات الجمل ، بيروت ، لبنان ، ص١٦٦ .

١٦-الرباعي ، عبد القادر ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ،دار فارس ، ١٩٩٩ ، ص٢٠٩ .

١٧-اليوسفي ، محمد لطفي ، الشعر والشعرية : الفلاسفة والمفكرون العرب ما نجزوه وماهفوا إليه ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٩٢ ، ص٩٢ .

١٨- ينظر: العسكري ، أبو هلال ، الحسن بن عبد الله بن سهل ، الصناعتين الكتابة والشعر ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، د.ط. بيروت : المكتبة العصرية ، ١٩٨٦ ، ص٢٦٨ .

١٩-الرازي ، فخر الدين ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ،تعليق : محمود محمد شاكر ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط٣ ، ١٩٩٢ ، ص٦٧ .

٢٠-جبران ،جبران خليل ، الأعمال الكاملة ،دار فارس للطباعة والنشر، القاهرة ،٢٠١٦ ، ص٣٣٣.

٢١--جرادات ، رائد وليد ، بنية الصورة الفنية في النص الشعري الحديث (الحر) ، نازك الملائكة أنموذجاً ، ص٥٦٠ .

٢٢- ينظر: القرطاجني ، حازم بن محمد حسن: منهاج البلغاء وسراج الأدباء ،المكتبة الشاملة ، ج١ ، ص٤ .

٢٣-كارين ارمسترونغ ، ترجمة : دكتور وجيه فانصو ، دار العربية للعلوم ، مؤسسة محمد بن راشد ال مكتوم ، ص٩ .

٢٤--جبران ، خليل جبران ، الأعمال الكاملة ، ص٣٣٣.

٢٥-عشري ، زايد علي ، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، دار الفكر ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٧ ، ص١٠٤ .

٢٦-جبران، خليل جبران ، الأعمال الكاملة ، ص٣٣٤ .

٢٧-الجيوسي ، سلمى الخضراء ، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ص٢٥٨ .

٢٨---الجيوسي ، سلمى الخضراء ، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ص٢٥٩ .

٢٩-أنظر : وهمان ، أحمد علي ، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، سوريا ، ط٢ ، ص٢٥٣ .

٣٠-عصفور ، جابر أحمد ، الصور الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩٢ ، ص١٨ .

٣١--جبران ، جبران خليل ، الأعمال الكاملة ، ص٣٣٣ .

٣٢-محبك ، أحمد رياد، بتول أحمد ، طبيعة الخيال الشعري وضوابطه بين التراث والحداثة ، جامعة حلب ، العدد٣٢ ،٢٠١٠ ، ص٣ .

٣٣-المصدر نفسه ، ص١١ .

٣٤- جبران ، جبران خليل ، الأعمال الكاملة ، ص٣٣٤ .

٣٥- ينظر: د. يوسف عبيد ، دفاتر أندلسية في الشعر والنثر والنقد والحضارة والإعلام ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، ط١ ، ٢٠٠٦ ، ص٧٥ .

٣٦-جبران ، جبران خليل ، الأعمال الكاملة ، ص٣٣٧.

٣٧--الناعور ، عيسى ، أدب المهجر ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ص١٨٢ .

٣٨--جبران ، جبران خليل ، الأعمال الكاملة ، ص٣٣٥ .

٣٩- ينظر: خفاجي ، محمد عبد المنعم ، مدارس النقد الحديث ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط٤ ، ٢٠١٢ ، ص٥٥ .

٤٠- جبران ، جبران خليل ، الأعمال الكاملة ، ص٣٣٩ .

٤١-مفتاح ، محمد ، تحليل الخطاب الشعري ، ستراتيجية التناص ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط٢ ، ١٩٨٥ ، ص١٣١ .

المصادر والمراجع:

١. ابن الأثير ، ضياء الدين ، المثل السائر ، دار النهضة ، مصر ،المجلد ٤ ،ص١٣٢ .
٢. البطل، دكتور علي ،الصورة في الشعر العربي ،حتى آخر القرن الثاني الهجري ، دراسة في أصولها وتطورها ، ، دار الأندلس للطباعة والنشر ،ط٢ ،١٩٨١.
٣. الجاحظ ، أبو عثمان عمر بن بحر، كتاب الحيوان ، ، ، تحقيق : عبد السلام هارون ، بيروت ، دار الفكر ، ج٣ ، ١٣١-١٣٢.٨
٤. جبران ،جبران خليل ، الأعمال الكاملة ،دار فارس للطباعة والنشر، القاهرة ، ٢٠١٦ .
٥. جرادات ، رائد وليد ، بنية الصورة الفنية في النص الشعري الحديث (الحر) ، نازك الملائكة أنموذجاً.
٦. الجرجاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، أسرار البلاغة ، ،تعليق : محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ج١، ط١ ،١٩٠٢ .
٧. الجيوسي ، سلمى الخضراء ، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٧.
٨. خفاجي ، محمد عبد المنعم ، مدارس النقد الحديث ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط٤ ، ٢٠١٢ ، .
٩. الرازي ، فخر الدين ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ،تعليق : محمود محمد شاكر ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط٣ ، ١٩٩٢.
١٠. الرباعي ، عبد القادر ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ،دار فارس ، ١٩٩٩ .
١١. عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في النقد العربي ، عمان ، دار جرير، ط١ ،
١٢. عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، تحقيق فايز الداية ومحمد رضوان الداية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣.
١٣. عز الدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ،بيروت ، دار العودة ، ط٢ ، ١٩٧٢.
١٤. العسكري ، أبو هلال ، الحسن بن عبد الله بن سهل ، الصناعتين الكتابة والشعر ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، د. ط. بيروت : المكتبة العصرية ، ١٩٨٦ ،.

١٥. عشري ، زايد علي ، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، دار الفكر ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٧.
١٦. عصفور ، جابر أحمد ، الصور الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩٢.
١٧. فردريش نيتشه ، إنساني مفرط في إنسانيته ، ترجمة علي مصباح ، منشورات الجمل ، بيروت ، لبنان.
١٨. قاوي ،عبدالحميد ،الصورة الشعرية قديما وحديثا، ،٢٠٠٨ .
١٩. القرطاجني ، حازم بن محمد حسن: منهاج البلغاء وسراج الأدباء ،المكتبة الشاملة ، ج١ .
٢٠. كارين ارمسترونغ ، ترجمة : دكتور وجيه فانصو ، دار العربية للعلوم ، مؤسسة محمد بن راشد ال مكتوم.
٢١. الكندي ،إمرؤ القيس بن حجر بن حارث ، ديوان امرئ القيس ، ،تحقيق : عبد الرحمن المصطاوي ،الناشر: دار المعرفة بيروت ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٤.
٢٢. محبك ، أحمد رياد، بتول أحمد ، طبيعة الخيال الشعري وضوابطه بين التراث والحداثة ، جامعة حلب ، العدد٣٢ ،٢٠١٠ ،.
٢٣. محمد ،دكتور محسن إسماعيل ، الصورة الشعرية عند يحيى الغزال، التراث العربي ،مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق العدد ٧٥-١٩- نيسان -١٩٩٩- ذو الحجة -١٤١٩.
٢٤. محمد زكي العشماوي ،دراسات في النقد العربي المعاصر ، دار النهضة العربية بيروت ، ١٩٨٦.
٢٥. مفتاح ، محمد ، تحليل الخطاب الشعري ، ستراتيجية التناص ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط٢ ، ١٩٨٥.
٢٦. الناعور ، عيسى ، أدب المهجر ، دار المعارف ، مصر ، ط٢، ١٩٧٣.
٢٧. وهمان ، أحمد علي ، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، سوريا ، ط٢ ، .
٢٨. يوسف عبيد ، دفاتر أندلسية في الشعر والنثر والنقد والحضارة والإعلام ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، ط١ ، ٢٠٠٦.

٢٩. اليوسفي ، محمد لطفي ، الشعر والشعرية : الفلاسفة والمفكرون العرب ما نجزوه وماهفوا إليه ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٩٠.